

4-1-2018

the load on meaning A comparative study between Tanzeeh Alquran and Magmaa Albayan's interpretations

Adel Farouk Mohamed Ahmed Abdel Rahman

Arabic language teacher by education Faculty of Arts, Cairo University

Follow this and additional works at: <https://jfa.cu.edu.eg/journal>



Part of the [Arabic Language and Literature Commons](#)

Recommended Citation

Abdel Rahman, Adel Farouk Mohamed Ahmed (2018) "the load on meaning A comparative study between Tanzeeh Alquran and Magmaa Albayan's interpretations," *Journal of the Faculty of Arts (JFA)*: Vol. 78: Iss. 2, Article 12.

DOI: 10.21608/jarts.2018.255616

Available at: <https://jfa.cu.edu.eg/journal/vol78/iss2/12>

This Original Study is brought to you for free and open access by Journal of the Faculty of Arts (JFA). It has been accepted for inclusion in Journal of the Faculty of Arts (JFA) by an authorized editor of Journal of the Faculty of Arts (JFA).

الحمل على المعنى

(دراسة موازنة بين تفسيري تنزيه القرآن ومجمع البيان) (*)

الباحث/ عادل فاروق محمد أحمد عبد الرحمن

مدرس لغة عربية بالتربية والتعليم.

الملخص

يناقش البحث قضية الحمل على المعنى في تفسير "تنزيه القرآن" للقاضي عبد الجبار المعتزلي وتفسير "مجمع البيان" للطبرسي الشيعي، ويعتبر الحمل على المعنى وسيلة من الوسائل التي لجأ المفسران إليها ليقيد الألفاظ ذات دلالة العمومية مثل كلمة "شيء" وكلمة "يخلق" ويوجّه دلالتها؛ لتصبح مقصورةً على دلالة بعينها يبغيانها لخدمة مذهبيهما.

the load on meaning

A comparative study between Tanzeeh Alquran and Magmaa Albayan's interpretations

AbstractL

The research discusses the issue of pregnancy on meaning in the interpretation of the "tanziyah of the Qur'an" by Judge Abdul-Jabbar al-Mu'tazili and the interpretation of the "complex of the statement" of the Tabarsi Shiite, and the pregnancy on meaning is one of the means by which the interpreters resorted to it to confirm the words of significance such as the word "thing" and the word "creates" Its significance, to become limited to a particular indication they want to serve their doctrines.

(*) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٧٨) العدد (٤) أبريل ٢٠١٨

العنوان المختصر للبحث:

(اعتماد المفسرين العقديين على ظاهرة الحمل على المعنى، وما يترتب عليه من توجيه نحوي بسبب تغير الدلالة، من خلال التطبيق على تفسيري تنزيه القرآن للقاضي عبد الجبار ومجمع البيان للطبرسي)

أهداف البحث:

يهدف البحث بشكل رئيس إلى إبراز دور الظواهر النحوية في قضية الحمل على المعنى، كتقدير الجار والمجرور وعود الضمير، كما يهدف إلى إبراز دور الحمل على المعنى في توجيه الدلالة، وسبب اعتماد القاضي والطبرسي عليه في تأويلهم لإثبات بعض معتقداتهم مثل نفي رؤية الله ونفي خلق الشر وعصمة الأنبياء.

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج التحليلي الوصفي، فيرصد الآيات التي اتخذها القاضي والطبرسي، لتوكيد ما ذهبوا إليه من أفكار وتفسيرهما لتلك الآيات باعتمادهما على باب الحمل على المعنى.

أبرز نتائج البحث:

أسفر البحث عن عدّة نتائج منها:

١. أنّ للتوجيه النحويّ علاقة وطيدة بمسألة الحمل على المعنى، فمن خلال ظاهرة التقديم والتأخير وتقدير الجار والمجرور وإعادة الضمير وغير ذلك مما يتعلق بالأبواب النحوية يستطيع المفسر أن يستفيد من إكساب بعض الألفاظ دلالات جديدة تتوافق مع مذهبه.

٢- أنّ المفسّر النحويّ العقديّ كلما كان متمكنا في علم النحو استطاع أن يطوّع ظاهرة الحمل على المعنى لنصرة مذهبه.

٣- أنّ النحو يدعّم مسألة الحمل على المعنى ويقوّيها، فلا تكون مجرد تعسف من المفسر في بعض الأحيان وإنما يكون لها مبرر منطقيّ بالقياس على القواعد النحوية حتى لو كانت القاعدة على وجه ضعيف، ولا سيّما إذا عزّز المفسر رأيه بالشواهد وآراء النحاة.

التمهيد

إنّ الحمل على المعنى من مجازات كلام العرب كما أطلق عليه ابن قتيبة ومنه "مخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجمع خطاب الاثنين"^(١) وهو بحر لا ينكش^(٢).

وأكثر ما ورد في مبحث الحمل على المعنى في الرّسالة يتمثّل في تخصيص العام، حيث أوّل المفسّران الألفاظ التي لو تركت على مطلق دلالتها لاشتملت على ما يخالف بعض أفكار المذهبيين وذلك إمّا بتقدير جارٍّ ومجرورٍ أو اعتمادًا على معاني الحروف، أو بقصر لفظ عام على دلالة بعينها، أو الحمل على معنى الفعل المذكور وما إلى ذلك من الوسائل التي يستطيعان من خلالها أن يقيّدوا الألفاظ ذات دلالة العموميّة مثل كلمة "شيء" وكلمة "يخلق" ويوجّهوا دلالتها؛ لتصبح مقصورةً على دلالة بعينها يبغيانها لخدمة مذهبيهما، ومن الجدير بالذكر أنّ المفسّرَيْن سارا على نهجٍ واحدٍ ولا مفاضلة بينهما في هذا المبحث. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أولاً: التخصيص بتقدير جار ومجرور:

لفظ "شيء":

قال تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كَمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣).

كلمة "شيء" لو ظلت على دلالتها الحقيقية سيندرج تحتها القدرة على أفعال العباد وعند الفرقتين أن العبد قادرٌ خالقٌ لأفعاله خيرا وشرها، مستحقٌ على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، والرّب تعالى منزّه أن يضاف إليه شرٌ وظلمٌ وفعلٌ هو كفرٌ ومعصيةٌ؛ لأنّه لو خلق الظلم كان ظالما كما لو خلق العدل كان عادلا^(٤).

ومن ثمّ قدّر الطبرسيّ جارًا ومجرورًا "من المقدورات"، "من المعدومات"، "من مقدراته"^(٥) يخصّص به كلمة "شيء" ويخرج دلالتها من حيّز العموم، ولا شكّ أنّ التقديرين الأوّل والثّاني مقبولان ولكنّ التقدير الثّالث أكّد فيه أنّ هناك أشياء غير مقدورة لله جلّ وعلا لا يقدر عليها. وليس هذا بغريب فقد قالوا إنّ الله **عَجَزَ** يعجز عن فعل الشرّ، ولا يقدر على ظلم أحد أصلا ولا على شيء من الشرّ وأنّ النّاس يقدرّون على ذلك^(٦).

وسيرا على دندن المعتزلة أيضا واتّفاقا مع الطبرسيّ قدّر القاضي جارًا ومجرورًا "من الأجسام والنّعم"^(٧)؛ لينفي خلق أفعال العباد.

مادة "خلق":

وامتدادا لنفي خلق الله لأفعال العباد خصّص المفسّران ما وجداه عامّا، فقدّر القاضي جارًا ومجرورًا "من النّعم" متعلّقًا بالفعل "يخلق" في قوله

تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٧)؛ ﴿٨﴾؛ بينما الطَّبْرَسِيُّ قدَّر مفعولاً به "هذه الأشياء" (٩) حتى لا يكون الخلق عامًّا فيندرج تحته خلق أفعال العباد؛ لأنَّ العبد عند المفسِّرين قادرٌ خالقٌ لأفعاله (١٠).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْغَيْالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١١). قدَّر الطَّبْرَسِيُّ "من الحيوانات" متعلِّقًا بالفعل "تعلمون"؛ ليحصر الخلق ويقصره على ما دون أفعال العباد، كما قدَّر جازًا ومجرورًا "من أنواع الحيوان والنبات والجماد" (١٢)؛ ليخصَّص "ما" الواقعة معمولا لـ "يخلق".

وفي قوله تعالى: ﴿إِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقَوْهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَعْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٣).

أول المفسِّران في الآية الكريمة دلالة الحرف "مِن" (١٤) في ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، أولها القاضي بأنَّها زائدة للاستحقاق (١٥) علماً بأنَّ كونها للتبعية أقوى وهو تأويل الطَّبْرَسِيِّ، يقول: "مِن" في قوله: ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ للتبعية، وقيل إنَّ "مِن" زائدة، عن أبي عبيدة، وأنكر سيبويه زيادتها في الإيجاب... بمعنى: ليغفر لكم بعض ذنوبكم؛ لأنَّه يغفر ما دون الشُّرك ولا يغفر الشُّرك، وقال الجبائي: دخلت "مِن" للتبعية، ووضع البعض موضع الجميع توسُّعاً (١٦).

وما أوَّل هذه الدلالة إلا ليثبت فكرة استحقاق العبد للثواب وأنَّ ذلك واجب على الله ولو غفر الله له بعض الذنوب لكان ذلك ظلماً بل واجب على الله أن يغفر له كلَّ الذنوب .

فالعبد عند المعتزلة مستحقٌّ على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار

الآخرة^(١٧)، بل زعموا أنّ المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحقّ الثواب والعوض، والتفّضُ معنى آخر وراء الثواب^(١٨)، خلافاً لأهل السنّة وقاعدتهم القائلة" بأنّ الله تعالى مهما تفضّل فهو لا عن استحقاق سابق؛ لأنّهم يقولون إنّ الأفعال التي يتوهم القدريّة أنّ العبد يستحقُّ بها على الله شيئاً، كلّها خلق الله، فهو الذي خلق لعبده الطاعة وأثابه عليها، وخلق له التّوبه وقبلها منه، فهو المحسن أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً، لا كالقدريّة الذين يزعمون أنّ العبد خلق لنفسه التّوبه بقدرته وحوله، يستوجب على ربّه المغفرة بمقتضى حكمته التي توجب عليه - على زعمهم - المجازاة على الأعمال إيجاباً عقلياً"^(١٩).

أمّا أهل السنّة فيرون أنّ كلّ ثوابٍ من فضل الله ولا يجب عليه شيءٌ عَلَيْهِ، وهذا ما جعل ابن المنير يصف الرّمخشريّ بفساد الاعتقاد^(٢٠).

ثالثاً: التّخصيص بقصر لفظ عام على دلالة بعينها:

قال تعالى: ﴿وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾^(٢١).

قصر الطّبرسيّ دلالة لفظ "أهل" في "أهل البيت" على خمسة هم النّبويّ صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلي والحسن والحسين فذكرهم وأكد التّخصيص والقصر بقوله: "واستدلّت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة عليهم السّلام"^(٢٢)؛ ليؤكد عصمة الأئمّة وأنّ الله قد أذهب عنهم الرّجس وطهّهم تطهيراً. ولا شكّ في إذهاب الله الرّجس عن أهل البيت وتطهيرهم إلا أنّ ما رمى إليه الطّبرسيّ من عصمة الأئمّة كان وراء ذلك التّخصيص.

وعلق الدكتور محمد حسين الذهبي على الطبرسي في هذا التأويل بقوله: "فأنت ترى أنّ الطبرسيّ يحاول من وراء هذا الجدل العنيف أن يثبت عصمة الأئمة، وهي عقيدة فاسدة يؤمن بها هو ومن على شاكلته من الإمامية الإثني عشرية، ولا شك أنّ هذا تحكّم من كلام الله تعالى دفعه إليه الهوى وحمله عليه تأثير المذهب^(٢٣)."

أمّا القاضي فلم يعنه عصمة الأئمة وإن أقرّ بعصمة الأنبياء من قبل؛ لأنّ فكرة الإمامة هي عقيدة الشيعة ومن ثم انشغل بما ظنّه في الآية من تدخل الله ﷻ في أفعال العباد بإذهاب الرجس، وفيها أكد فكرة "اللفظ" يقول: "وربما قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أليس ذلك يدلّ على أنّه تعالى يفعل فيهم الصّرف عن المعاصي؟ وجوابنا: إنّ المراد بهذا أنّه تعالى يلفظ لهم زيادات الألفاظ فلا يختارون إلا الطّاعة فهذا معنى الإذهاب بالرجس ولذلك قال بعده: ﴿وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢٤)."

رابعاً: الحمل على المعنى المؤول للفعل المذكور:

والمقصود بذلك حمل الكلام على فعل مضمر يدلّ عليه فعل مذكور^(٢٥)، وقد أكثر منه المفسران في تفسيريهما بل هو ركيزة من ركائز التأويل لدى كلّ مفسّر عقديّ، ووسيلة رئيسة من وسائل تأويلهم.

_ نفي التشبيه والجسمية والمكانية، ومنه:

تأويل القاضي " الوجه" بـ "الرضا"^(٢٦) في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجَهَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمُهُ﴾^(٢٧).

نفي المعتزلة التشبيه نفيًا تامًا من كلّ وجه مكانًا وصورةً وجسمًا وتحيرًا

وانتقالاً^(٢٨)، ودعاهم ذلك إلى تأويل الآيات التي تناولت ما يتعلق بالله ﷻ من يدٍ ووجهٍ وسمعٍ وبصرٍ واستواءٍ، كما نفوا الكلام من الله ﷻ لموسى ﷺ وكذلك نفوا الرؤية^(٢٩)؛ لأنها تستلزم الجسميّة أيضاً، وإنّما أجاز أهلُ السنّة تفسير هذه الآيات على ظاهرها في إطار قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣٠) فوقفوا موقفاً وسطاً بين من نفى التشبيه كالمعتزلة وبين من حمل الوجه واليدين والعينين على ظاهرها وحقيقتها ولم ير أنّها صفات سمعيّة كبعض فرق الأشعريّة^(٣١) والمشبّهة^(٣٢). ويقول الشهرستاني: "ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها، بل التّكليف قد ورد بالاعتقاد بأنّه "لا شريك له، وليس كمثله شيء، وذلك قد أثبتناه يقيناً"^(٣٣). وقد أثبت الإمام أحمد بن حنبل ذلك في كتابه "العقيدة"، وأثبت الوجه بقوله: "إنّ الله ﷻ وجهاً لا كالصّور المصوّرة والأعيان المخطّطة بل وجهه وصّفه بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨)، ومن غيّر معناه فقد ألدّ عنه، وذلك عنده وجه في الحقيقة دون المجاز، ووجه الله باق لا يبلى وصِفة له لا تقنى، ومن ادعى أنّ وجهه نفسه فقد ألدّ ومن غيّر معناه فقد كفر، وليس معنى وجه معنى جسد عنده ولا صورة ولا تخطيط ومن قال ذلك فقد ابتدع"^(٣٤).

ـ نفي خلق الشّرّ، ومنه:

تأويل الطبرسي لـ "يزيدن" بـ "يزدادون" في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ بل يدها مبسوطتان يُنفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكُفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله وسعّون في الأرض فساداً والله لا يحبّ المُفسدين^(٣٥). حتى لا يكون القرآن الذي هو من قبل الله ﷻ سبباً في زيادة

الكفار فيُنسب الشرُّ إلى الله. يقول: "أي سيزدادون عند إنزال القرآن إليك طغياناً وكفراً، ويريد بالكثير منهم المقيمين على الكفر" (٣٦).

وكذلك تأويل "تقيض" بـ "نخل" (٣٧) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْئَانَا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٨﴾﴾. والتخلية هي الترك فلم يضلّه الله وإنما تركه يسير في طريق الضلال، وكأنّ التّرك ليس شرّاً عنده.

وكذلك تأويل القاضي "جعلنا" بـ "بيننا" (٣٩) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

- أيضاً تأويل القاضي "يضلّ" بـ "يعاقب"، و"يهدي" بـ "يثيب" (٤١) في طي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا قَوْحَهَا فَمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

- وتأويله أيضاً "صرف" بـ "عاقب" (٤٣) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً تَطَرَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

- وتأويله "يذهب" بـ "يلطف" (٤٥) في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً ﴿٣٣﴾ (٤٦).

ومصطلح اللطف استعمله المعتزلة ولاسيما الزمخشري^(٤٧) هروباً من القول بخلق الله لأفعال العباد، فيقولون لطف بهم أي: وهبهم أطفاه.

ـ نفي خلق أفعال العباد، ومنه:

تأويل القاضي "أضحك" بـ "أنعم"؛ لينفي خلق أفعال العباد، فالعبد - عند المعتزلة - قادرٌ خالقٌ لأفعاله خيرها وشرها، مستحقٌ على ما يفعله ثواباً وعقاباً وأنَّ الله - تعالى - منزّه أن يضاف إليه شرٌّ كالإضلال ونحوه^(٤٨).

وتمثل ذلك التأويل في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (٤٩).

علمًا بأنّه أفرَّ بإبكاء الله للعبد^(٥٠). وأرى في ذلك تناقضاً بيننا، وإن عاد وأوّل "أبكى" بـ "عاقب".

خامساً: عود الضمير:

الأصل في الضمير أن يعود إلى أقرب مذكور في الكلام ما لم يمنع من ذلك مانع، وما لم تقم قرينة على غير ذلك؛ لأنّ "عودة الضمير إلى أقرب مذكور أولى من أن يعود على أبعد مذكور"^(٥١).

قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا

يَرْضَهُ لَكُمْ...﴾ (٥٢)، فالهاء في (يرضه) عائدة على الشكر وليس على الكفر؛ لأنّ

الشكر هو أقرب مذكور، ولم يمنع منه مانع، وليس هناك ما يرجح عود

الضمير إلى أول مذكور والمعنى العام لا يتفق مع عوده إلى الأوّل، وهي فكرة

أشبه بفكرة الجوار في قولهم: "جُرُّ ضَبٍّ خَرِبٍ" وخرّب من صفات الجحر لا

الضّب، وكما قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبَيْلِهِ ... كَبِيرٌ أَنَسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(٥٣)

أما في حالة التأويل فقد يتم الخروج عن المؤلف، فالتأويل هو المرحلة التالية لمرحلتين تظهران عند التعامل مع النص ودراسته، وهما: المعنى والتفسير، حيث ذكر الزركشي أن معاني العبارات التي يعبر بها عن الأشياء ترجع إلى ثلاثة: المعنى، التفسير، التأويل^(٥٤).

وترتيب هذه المراحل علي هذا النسق إنما هو ترتيب تصاعدي لإعمال الذهن وطول البحث، فالمعنى هو المقصود والمراد^(٥٥)، والتفسير كشف المغلق من المراد بلفظه^(٥٦)، أما التأويل فهو صرف اللفظ عن الاحتمال الظاهر إلى احتمال مرجوح به لاعتضاده بدليل، يصير به أغلب الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر^(٥٧)، وفيه يستتبط المؤول الأحكام محاولا إثبات فكره وما يرمي إليه من معانٍ، خارجًا في كثير من الأحيان عن رأي خصومه في تأويل تلك الآيات التي كانت محلًا للزجاج بينهم. وقد عدَّ السيوطي ذلك ابتداءً ومشاركة للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع^(٥٨).

ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٥٩) فالعطف يؤكد أن الله ﷻ يهدي ويضل، إلا أن القاضي أعاد الضمير في "يُضِلُّ" إلى الفاعل في "المهتدي"^(٦٠)؛ لينفي الضلال عن الله تأكيدًا لفكرة أن الله لا يفعل الشرَّ، فعلى أصل العدل عند المعتزلة. وما اندرج تحته من أفكارهم أن الله تعالى لا يريد الشرَّ ولا يأمر به^(٦١)؛ لأنَّ مرید الشرِّ شَرير كما أنَّ مرید الخير خَيْر، بل والأعجب من ذلك أنَّهم ذهبوا إلى أنَّ الله ﷻ يعجز عن فعل الشرِّ، ولا يقدر على ظلم أحد أصلا ولا على شيء من الشرِّ وأنَّ الناس يقدرون على ذلك^(٦٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَنهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ نُضِلُّ بِهَا مَن نَّشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾^(٦٣).

والشاهد في الآيتين قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ نُضِلُّ بِهَا مَن نَّشَاءُ وَتَهْدِي مَن نَّشَاءُ﴾ فكيف يقبل المفسران الضلال واقعا من الله ﷻ وعندهما مرید الشرّ شرير كما أنّ مرید الخير خير، بل والأعجب من ذلك أنّ المعتزلة ذهبوا إلى أنّ الله ﷻ يعجز عن فعل الشرّ، ولا يقدر على ظلم أحد أصلا ولا على شيء من الشرّ وأنّ الناس يقدرّون على ذلك^(٦٤)، ومن ثمّ أعاد الطبرسيّ الضمير في "تضلّ بها" إلى الرجفة^(٦٥)، أمّا القاضي فأولّ الفتنة بشدة التكليف^(٦٦) ولم يلجأ إلى الضمائر كوسيلة من وسائل التّأويل ههنا.

أمّا أهل السُنّة والجماعة فقد أعادوا الضمير "ها" في ﴿نُضِلُّ بِهَا﴾ إلى الفتنة التي هي من قبل الله لقبولهم الهدى والضلال من الله^(٦٧)، فيقول الطبرسيّ: "ما عبدوا دونك إلا فتنة منك أصابتهم...؛ ليتبيّن الذي يضلّ عن الحق"^(٦٨).
والأرجح قول أهل السُنّة لعود الضمير إلى أقرب مذكور وهو الفتنة وهو الأوّل^(٦٩).

أبرز نتائج البحث:

أسفر البحث عن عدّة نتائج منها:

١- أنّ للتوجيه النحويّ علاقة وطيدة بمسألة الحمل على المعنى، فمن خلال ظاهرة التقديم والتأخير وتقدير الجار والمجرور وإعادة الضمير وغير ذلك مما يتعلّق بالأبواب النحوية يستطيع المفسر أن يستفيد من إكساب بعض الألفاظ دلالات جديدة تتوافق مع مذهبه.

٢- أنّ المفسّر النحويّ العقديّ كلما كان متمكنا في علم النحو استطاع أن يطوّع ظاهرة الحمل على المعنى لنصرة مذهبه.

٣- أنّ النحو يدعّم مسألة الحمل على المعنى ويقويّها، فلا تكون مجرد تعسف من المفسر في بعض الأحيان وإنما يكون لها مبرر منطقيّ بالقياس على القواعد النحوية حتى لو كانت القاعدة على وجه ضعيف، ولا سيّما إذا عزّز المفسر رأيه بالشواهد وآراء النحاة.

الهوامش:

- ١- محمد زغلول سلام، ابن قتيبة، دار المعارف، مصر، ط ١، (د.ت)، ٦٩.
- ٢- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة للكتاب، ط ٣، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م، الخصائص ٢: ٤٣٥ .
- ٣- البقرة ٢٠.
- ٤- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ت ٥٤٨ هـ، الملل والنحل، تحقيق: أبي محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، (د.ت) ١: ٦٦.
- ٥- يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ٢٠) عام فهو قادر على الأشياء كلها على ثلاثة أوجه على المعدومات بأن يوجدها وعلى الموجودات بأن يفنيها وعلى مقدر غيره بأن يقدر عليه ويمنع منه، وقيل هو خاص في مقدراته دون مقدر غيره فإن مقدرًا واحدًا بين قادرين لا يمكن أن يكون؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون الشيء الواحد موجودًا معدومًا ولفظة كل قد يستعمل على غير عموم نحو قوله تعالى: ﴿نَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ (الأحقاف ٢٥). (الطبرسي، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن، ت ٥٤٨ هـ، مجمع البيان في تفسير القرآن. دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ١: ٧٧).
- ٦- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي - القاهرة، باب شنع المعتزلة، ٤: ١٧٤.
- ٧- يقول: "فهو معنى قوله: ﴿خَلَقُوا كَلْفَهُ فَشَبَّهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ (الرعد ١٦) ثم بين أنه الخالق للنعم التي يستوجب عندها العبادة فلا تليق العبادة إلا به، ولا مدخل لأفعال العباد في ذلك وقد بينا من قبل وجوهًا في أن قوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الرعد ١٦) لا يدل إلا على أن المقدر من هذه الاجسام والنعم من قبله" (القاضي، عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله، أبو الحسن الهمداني، الأسدابادي، الملقب بقاضي القضاة ت: ٤١٥ هـ، تنزيه القرآن = عن المطاعن، تحقيق: د. نبها

خضر محمد - د. رضوان السيّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م، مجلد واحد، (٢٠١). وفسرها في أكثر من موضع أشملها حين قال: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الرعد ١٦) قد تقدّم معنى الإضافة وأنّ المراد به الأجسام التي قدّرها الله تعالى إلى سائر ما يتصل بها دون أفعال العباد، وإذا كان الله تعالى تمدّح بأنّه خالق كلّ شيء فكيف يدخل فيه الكفر والكذب والفواحش مع أنّ خلق ذلك إلى الدّم أقرب؟ وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ (الزمر ٧١) أحد ما يدلّ على قولنا لأنّه تعالى لو كان خالقنا للكفر فيهم لكانت الحجة لهم بأن يقولوا وما ذا ينفع مجيء الرّسل إلينا مع أنّ الله تعالى خلق الكفر فينا وأراده وقضاه وقدّره. (القاضي، تنزيه القرآن ٣٦٤، وانظر أيضًا نفس المرجع ٢١٨، في تفسير القاضي لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل ١٧).

٨- النحل ١٧ .

٩- الطبرسي، مجمع البيان ٦: ١١١.

١٠- الشهرستاني، الملل والنحل ١: ٦٦.

١١- النحل ٨.

١٢- الطبرسي، مجمع البيان ٦: ١٠٩ .

١٣- نوح ٣ ، ٤ .

١٤- انظر الحرف "من" في حروف المعاني في هذه الرّسالة.

١٥- يقول: "فإن قيل فكيف قال تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا رَبَّكُمْ﴾

ذُنُوبِكُمْ﴾ ومن عبد الله واتّقه استحقّ غفران كلّ ذنوبه؟ وجوابنا أنّ من قد تدخل زائدة كما تدخل للتبعض وهي هاهنا

زائدة. ويحتمل أنّه يريد أنّ الغفران يكون في هذا الجنس كما يقال باب من حديد وقوله تعالى من بعد: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي

دَعَوْتُ قَوْمِي لَبِلاً وَنَهَارًا﴾ ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (نوح) المراد به تشدّد القوم في الإنكار

والجحود والتفور من قبول الحق ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْدِقَهُمْ فِي

ءَأَذَانِهِمْ ﴿٧﴾ (القاضي، تنزيه القرآن ٤٣٦).

- ١٦- الطبرسي، مجمع البيان ٦: ٤٦، ٤٧، ٤٨.
- ١٧- الشهرستاني، الملل والنحل ١: ٦٦.
- ١٨- نفس المرجع.
- ١٩- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، ت ٥٣٨ هـ، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م، الانتصاف - هامش الكشف: ٤٧٨/١، وقد وصف الإسكندريُّ الزمخشريَّ بالجرأة وسوء الأدب.
- ٢٠- نفس المرجع، الانتصاف - هامش الكشف ٤: ٤١٨.
- ٢١- الأحزاب ٣٣.
- ٢٢- الطبرسي، مجمع البيان ٨: ١٢٠.
- ٢٣- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، مطبعة المدني، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م ط٢: ٨٢.
- ٢٤- القاضي، تنزيه القرآن ٣٣٥.
- ٢٥- علي عبد الله حسين العنبيكي، الحمل على المعنى في العربية، ديوان الوقف السني، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، العراق، بغداد، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ٣٥٩.
- ٢٦- يقول: "وربما قيل أما يدل قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَرٌّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ على المكان قلنا المراد: إنَّ هناك يوجد رضا الله... ولو كان المراد بذلك المكان لوجب أن يكون تعالى في وقت واحد في أماكن بحسب صلاة المصلين وقد يذكر الوجه ويراد به ذات الله" (القاضي، تنزيه القرآن ٣٣).
- ٢٧- البقرة ١١٥.
- ٢٨- الشهرستاني، الملل والنحل ١: ٦٦.
- ٢٩- يقول الزمخشري: فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها (الزمخشري، الكشف ٢: ١٧٤).
- ٣٠- الشورى ١١.
- ٣١- الشهرستاني، الملل والنحل ١: ١٠٦، انظر تعليق ابن المنير - الانتصاف - هامش الكشف: ٤٣٦/٤.

- ٣٢- الشهرستاني، الملل والنحل ١: ١١٧ .
- ٣٣- الشهرستاني، الملل والنحل ١: ١٠٤ .
- ٣٤- ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، ت ٢٤١ هـ، العقيدة، رواية أبي بكر الخلال، دار قتيبة - دمشق، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ١: ١٠٣ .
- ٣٥- المائدة ٦٤ .
- ٣٦- الطبرسي، مجمع البيان ٣: ٣١٠ .
- ٣٧- يقول: "أَي نَحَلَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ الَّذِي يَغْوِيهِ وَيَدْعُوهُ إِلَى الضَّلَالَةِ، فَيَصِيرُ قَرِينَهُ عَوْضًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ" (الطبرسي، مجمع البيان ٩: ٣٦) .
- ٣٨- الرُخْرَف ٣٦، ٣٧ .
- ٣٩- "وَرَبَّمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمَّا كُرُوا فِيهَا﴾ وَأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَكْرَهُمْ بِكْفَرِهِمْ مِنْ قِبَلِهِ تَعَالَى، وَجَوَابُنَا أَنَّ الْمُرَادَ بَيْنًا ذَلِكَ مِنْ حَالِهِمْ. (القاضي، تنزيه القرآن ١٣٦) .
- ٤٠- الأنعام ١٢٣ .
- ٤١- يقول: "وَإِنَّمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ وَأَرَادَ يَعَاقِبُ بِالْكَفْرِ بِهِ ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ أَي يَثِيبُ بِالْإِيمَانِ بِهِ كَثِيرًا" (القاضي، تنزيه القرآن ٢٠) .
- ٤٢- البقرة ٢٦ .
- ٤٣- القاضي، تنزيه القرآن ١٧٣ .
- ٤٤- التوبة ١٢٧ .
- ٤٥- القاضي، تنزيه القرآن ٣٣٥ .
- ٤٦- الأحزاب ٣٣ .
- ٤٧- الزمخشري، الكشاف ٢: ٦٠٠ .
- ٤٨- الشهرستاني، الملل والنحل ١: ٦٦ .
- ٤٩- النجم ٤٣ .
- ٥٠- يقول: "وَرَبَّمَا قَالُوا إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَابُكَ وَأَبِيكَ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَفْعَالَنَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى. وَجَوَابُنَا أَنَّ ذَلِكَ إِنْ دَلَّ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَعَلَ الضَّحْكَ وَالْبُكَاءَ وَلَا

عموم فيهما، فإن فعلهما تعالى باثنين ثم الظاهر فمن أين أن كلَّ ضحك وبكاء من فعل الله تعالى. فإن قيل فما قولكم في الضحك أهو من فعل العبد أو من فعل الله وقد يتعدى على المرء ترك الضحك فكيف يكون من فعله. وجوابنا أن الضحك هو التفتح المخصوص الذي يظهر في الوجه وذلك يكون من فعل العبد ولا حال يضحك فيها إلا ويجوز أن يتركه؛ لأنه لو خوّف من الضحك لتركه، فأما الإبقاء فهو من فعله تعالى؛ لأنه إنزال ما يدفع صفة الوجه، فحقيقته أنه تعالى هو الذي يبكي العبد وإن كان العبد قد يتسبب في ذلك. وقد قيل إن المراد بقوله (أَصْحَاكَ) أنه أنعم على أهل الثواب بالجنة والثواب (وَأَبْكَى) أنه عاقب أهل النار واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَاكَ وَأَبْكَى﴾ (النجم ٤١: ٤٣) وذلك لا يليق إلا بأمر الآخرة فشبّه ما ينالهم من النعيم والسرور بالضحك وما ينالهم من العقاب بالبكاء. (القاضي، تنزيه القرآن ٤٠٥).

٥١- الثلويين، أبو علي الثلويين، ت ٦٥٤ هـ، شرح المقدمة الجزولية الكبير، تحقيق: أ.د/ تركي بن سهو العتيبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ. ١: ٢٩٥.

٥٢- الزمر ٧.

٥٣- ثبير: جبل بعينه - العرينين: الأنف، وقال جمهور الأئمة: هو معظم الأنف، والجمع العرائين، ثم استعار العرائين لأوائل المطر؛ لأن الأنوف تتقدّم الوجوه. الجاد: كساء مخطط، والجمع الجُدد. الترميل: التلّيف بالثياب، وقد زملته بثياب فتزمل بها أي: لففته فتلفف بها. وجرّ مزملًا على جوار بجاد وإلا فالقياس يقتضي رفعه؛ لأنه وصف كبير أناس، ومثله ما حكى عن العرب من قولهم: جحرُ ضبُّ خرب، جر خرب بمجاورة ضب، ومنه قول الأخطل: (الطويل):

جرى الله عنى الأعورين ملامة وفروة ثفر الثورة المتضاجم

جر المتضاجم على جوار الثورة والقياس نصبه؛ لأنه صفة ثفر، ونظائرها كثيرة. الويل: جمع وابل وهو المطر العزيز العظيم القطر، ومثله شارب وشرب وراكب وركب وغيرها، والويل أيضًا مصدر، وبلت السماء نبل وبلًا إذا أتت بالوابل. يقول: كأنَّ ثبيرًا في أوائل مطر هذا السحاب سيد أناس قد تلف بكساء مخطط شبه تغطيته بالغناء بتغطي هذا الرجل بالكساء. (الزورتي، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، ت 468هـ- ١٠٩٣م، شرح المعلمات السبع، تحقيق لجنة التحقيق في الدار العلمية، ١٩٩٣م، الدار العالمية، بيروت) ٤٠.

٥٤- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٢م، ٢:

١٤٦.

٥٥- نفسه: ١٤٦.

٥٦_ نفسه: ١٤٧.

٥٧_ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بدران الدومي ثمّ الدمشقي، 1280هـ-١٩٢٧م، نزهة الخاطر العاطر شرح كتاب روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة، دار الحديث بيروت، ومكتبة الهدى، رأس الخيمة، الامارات العربية المتحدة، ط١، ١٩٩١م، ٢: (٢٣٠)، خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ٥١، وعرف الزركشي التأويل بأنّه سُمي من قولنا آل الأمر إلى كذا أي صار إليه، وأصله من المأل وهو العاقبة والمصير. (الزركشي، البرهان ٢: ١٤٨، ٤٩).

٥٨_ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١ هـ، الإتيان في علوم القرآن - مكتبة دار التراث بالقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢: ٧٨.

٥٩_ الأعراف ١٧٨.

٦٠- يقول: "ومن يضلل عن النّوَابِ إلى العقاب ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾". (القاضي، تنزيه القرآن ١٥٣).

٦١_ الشُّرُّ عندهم يقع من العبد على خلاف الإرادة الزبانية (تعليق ابن المنير. هامش الكشّاف ١: ٤٣٥)، أما عند أهل السنّة فيجوز عليه -تعالى- خلق الشُّرِّ وإرادته كالخير، فكلّ شيء يقع على مراد الله ﷻ ولكنه -تعالى- لا يأمر إلا بالخير (حاشية الشَّيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشّاف. هامش الكشّاف ١: ٥٩)، وقد استدَلَّ أهل السنّة على قولهم إنّ الله يخلق الخير والشُّرَّ بقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُوَفَّكَونَ﴾ (فاطر ٣)، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان ٢). كما استدَلُّوا بقوله ﷻ: كُلُّ شَيْءٍ بقدرٍ حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز" وهو حديث إسناده صحيح على شرط مسلم (ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسّسة قرطبة. القاهرة، الأحاديث منبذلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها، ٢: ١١٠) وعند القرطبيّ هذا الحديث إبطال لمذهب القدرية (القرطبيّ، شمس الدّين عبد الله بن محمد، ت ٦٧١ هـ، الجامع لأحكام القرآن، طبعة دار الغد العربيّ، ط٢، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م، ٧: ٦٥٠٣). وكذلك بحديث أبي ذر رضي الله عنه حين قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ فقالوا: الأعمال

إلينا والأجال بيد غيرنا، فنزلت الآية إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^{٦٢}، فقالوا: يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا؟ فقال ﷺ: "أنتم خصماء الله يوم القيامة" (نفس المرجع ٦٥٠٤)، وكذلك استدلوا بقوله ﷺ: "القدرية يقولون الخير والشر بأيدينا، ليس لهم من شفاعتي نصيب ولا أنا منهم" (ذكر في كنز العمال عن أنس: ١/٢٣٠، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٦٥٠٤).

٦٢- ابن حزم، الفصل في الملل والنحل ٤: ١٧٤ باب شنع المعتزلة.

٦٣- الأعراف ١٥٥.

٦٤- ابن حزم، الفصل في الملل والنحل ٤: ١٧٤ باب شنع المعتزلة.

٦٥- يقول: "معناه: إن الرجفة إلا اختبارك وابتلاؤك ومحنتك. (الطبرسي، مجمع البيان ٤: ٢٧٢). ويقول: "تصيب بهذه الرجفة من تشاء، وتصرفها عمّن تشاء" نفس المرجع ٢٧٣. كما أول الفتنة بالعذاب. (نفس المرجع).

٦٦- القاضي، تنزيه القرآن ١٥١.

٦٧- يقول ابن كثير في تفسيره للآية: "قاله ابن عباس، وسعيد بن جبیر، وأبو العالية، وربيع بن أنس، وغير واحد من علماء السلف والخلف. ولا معنى له غير ذلك؛ يقول: إن الأمر إلا أمرك، وإن الحكم إلا لك، فما شئت كان، تضلّ من تشاء، وتهدي من تشاء، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضلّ لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، فالملك كلّ لك، والحكم كله لك، لك الخلق والأمر". (ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن كثير، ت ٧٧٤ هـ، تفسير القرآن العظيم، علّق عليه وخرّج أحاديثه هاني الحاج، راجع أحاديثه نصر الدين الألباني، المكتبة التوفيقية، (د. ت)، ٣: ٣٤٨).

٦٨- تفسير الطبري: (الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠ هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (د- ت) ٩: ٩٣.

٦٩- الشلوبين، شرح المقدمة الجزولية الكبير، ١: ٢٩٥.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- الطبرسي (أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن، ت ٥٤٨ هـ).
- مجمع البيان في تفسير القرآن. دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- القاضي (عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله، أبو الحسن الهمداني، الأسدأبادي، الملقب بقاضي القضاة ت: ٤١٥ هـ).

- تنزيه القرآن عن المطاعن، تحقيق: د. نبها خضر محمد، د. رضوان السيّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٨ م، مجلد واحد.

ثانياً: المراجع:

- ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني).
- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة للكتاب، ط٣، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.

- ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد).
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.
- ابن حنبل (أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، ت ٢٤١ هـ).
- العقيدة، رواية أبي بكر الخلال، الناشر: دار قتيبة - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، تحقيق: عبد العزيز عزّ الدين السيروان.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسّسة قرطبة . القاهرة، الأحاديث مزيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها.

- خالد عبد الرحمن العك (الشيخ، مدرس بدار الإفتاء بدمشق).
 - أصول التفسير وقواعده، دار التفائس، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
 - الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله).
 - البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٢م.
 - الزوزني (أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، ت 468هـ - ١٠٩٣م).
 - شرح المعلقات السبع، تحقيق لجنة التحقيق في الدار العلمية، ١٩٩٣م، الدار العالمية، بيروت.
 - الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، ت ٥٣٨هـ).
 - الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن في وجوه التأويل، ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- وبحواشيه أربعة كتب :
- الانتصاف من صاحب الكشاف، لأحمد بن المنير الإسكندري.
 - الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف، للحافظ بن حجر.
 - حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشاف.
 - مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، للشيخ محمد عليان المرزوقي.
 - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ).
 - الإتيقان في علوم القرآن - مكتبة دار التراث بالقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ت).

- الشلوبين (أبو علي الشلوبين، ت ٦٥٤ هـ).
- شرح المقدمة الجزولية الكبير، تحقيق: أ.د/ تركي بن سهو العتيبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ت ٥٤٨ هـ).
- الممل والنحل، تحقيق: أبي محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، (د.ت).
- الطبرسي (أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن، ت ٥٤٨ هـ).
- مجمع البيان في تفسير القرآن. دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.
- الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، ت ٣١٠ هـ).
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الشعب، (د.ت).
- عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بدران الدومي ثمّ الدمشقي، **1280هـ-**
١٩٢٧م. (الأستاذ الشيخ)
- نزهة خاطر العاطر شرح كتاب روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة، دار الحديث بيروت، ومكتبة الهدى، رأس الخيمة، الامارات العربية المتحدة، ط١، ١٩٩١م.
- علي عبد الله حسين العنكي (دكتور).
- الحمل على المعنى في العربية، ديوان الوقف السني، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، العراق، بغداد، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
- القاضي (عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله، أبو الحسن الهمداني، الأسدآبادي، الملقب بقاضي القضاة ت: ٤١٥ هـ).
- تنزيه القرآن عن المطاعن، تحقيق: د. نبها خضر محمد. د. رضوان السيد،

- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م، مجلد واحد.
- القرطبيّ (شمس الدّين عبد الله بن محمد، ت ٦٧١ هـ).
- الجامع لأحكام القرآن، طبعة دار الغد العربيّ، ط٢، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
- ابن كثير (أبو الفدا إسماعيل بن كثير، ت ٧٧٤ هـ).
- تفسير القرآن العظيم، علّق عليه وخرّج أحاديثه هاني الحاج، راجع أحاديثه نصر الدّين الألبانيّ، المكتبة التوفيقية، (د.ت).
- محمد حسين الذهبيّ (الدكتور).
- التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، مطبعة المدنيّ، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ط٦.
- محمد زغلول سلام (الدكتور).
- ابن قتيبة، دار المعارف، مصر، ط١، (د.ت).